مقدمة:

يكون الاهتمام بالأطفال ونموهم السليم وصحتهم الجسدية على رأس أولويات الوالدين، لكن ذلك لا يكفي إذا كان الهدف هو توفيرحياة سعيدة، ومستقرة، ومليئة بالنجاح لطفلهم، حيث تعتبر الصحة النفسية الجيدة مفتاح النمو الصحي، ولا تقل أهميتها عن الصحة البدنية، فهي الطريقة التي يفكر بها الأطفال، وتتحكم في شعورهم تجاه العالم من حولهم، ونظرتهم لأنفسهم، ولها دور كبير في كيفية تعامل الأطفال مع ضغوط الحياة وتحدياتها، كما أن سلامتها تساعدهم على تطوير مهاراتهم الاجتماعية، والسلوكية التي تنعكس في حياتهم حتى بعد سن الطفولة، فلذلك يجب معرفة أهمية الصحة النفسية للطفل والتأكد من سلامتها.

والتمتع بالصحة النفسية الجيدة يعتبر من أهم أسباب النمو الصحي والإتزان لدى جميع الأطفال، وسلامتهم النفسية هي ما يحتاجونه لبناء علاقات جيدة مع الآخرين، ويكون لها الدور الأكبر في قدرتهم على التعامل مع التحديات التي تواجههم،فالطفل يحتاج الى العاطفة والرعاية والحنان, وللوالدين دوركبيرفي ذلك خاصة الأم التي تمثل مصدرالرعاية والدفئ,لذلك فوضع الآطفال في مدارس داخلية من نعومة أظافرهم يؤدي الى انعدام الثقة والآمان والشعوربالاستقرارمما يجعله عاجزاعلى بناءعلاقات إيجابية مع الآخرين.

ويؤثر في تكوين شخصيته التي تبدأ من أهم مرحلة في حياته وهي مرحلة الطفولة والتي تتأثربها باقي مراحل حياته,حيث يتحدد فيها سير النموالنفسي والعاطفي والانفعالي للطفل,ويتأثرسلوكه خلال مراحل حياته بخبرات طفولته المبكرة التي يستمدها من الأسرة,فالمناخ العائلي والعلاقات التي تربط أفراد الأسرة والمعاملة الوالدية نحوالأبناءمن أهم العوامل التي تؤثرفي عمليات النموالنفسي والاجتماعي وتفاعلات الطفل وعلاقاته المستقبلية,كذلك نموه الانفعالي والعاطفي يتشكل ويتأثربأنماط التفاعل بين الولدين اللذان يعتبران مصدرالحب والحنان والرعاية والاهتمام,وبالتالي قد يؤدي الحرمان من عاطفتهما وحنانهما الى ظهورمشكلات نفسية ومن بين هذه المشكلات الحرمان العاطفي الذي لفت انتباه أغلب الباحثين في علم النفس لكونه يأخذ أبعاد نفسية واجتماعية خطيرة على شخصية الطفل في عدة جوانب.

فالاسرة هي الحضن الأول والمؤسسة الاجتماعية الأولى التي تساعد الأطفال على تكوين شخصيتهم ونموهم النفسي والمعرفي والسلوكي , فيكتسب الطفل لغته ومعارفه وقيمه وعاداته وسلوكه من أسرته وعن طريقها يتوافق نفسيا واجتماعيا ويتفاعل مع الآخرين, ويدرك العالم من حوله ويتعلم المفاهيم ويكتسب الميول والاتجاهات.

والأطفال المحرومين من الرعاية الوالدية أوالنشأة في أسرة متكاملة ,لم يتح لهم فرصة التعلق والارتباط العاطفي بالوالدين ,وهذا بدوره يولد مشاعر سلبية عن الذات والآخرين وقد ينعكس ذلك على نموه النفسي و الاجتماعي ,وتكيفه وتكوين شخصيته.

إشكالية :

ان الحرمان من عاطفة الأبوين من الأمور التي كانت ولازالت من المواضيع المهمة التي لابد من الوقوف عندها ودراستها بعناية لأنها مرتبطة ارتباطا وثيق الصلة بالفرد ونموه السليم.

ولكي ينمو الفرد نموا سليما لابد من توافر متطلبات النمو الضرورية المتعلقة بتطور الجوانب الجسمية والعقلية والأخلاقية والانفعالية والشخصية.

ويرى علماء النفس أن أساس الصحة النفسية قائم على ما تمنحه الأسرة من اشباع حاجات الطفل من حب وعطف وحماية وأن الرابط النفسي المتكون نتيجة علاقة الطفل بوالديه بصورة حميمية ودائمة هي الأساس في اشباع حاجاته النفسية.

اذ أن الأسرة السوية المنسجمة أساس الصحة النفسية السليمة، خاصة العلاقة بين الطفل وأمه, حيث أن الأم تعتبر أول شخص يقيم الطفل علاقة معه , وعلى أساس هذه العلاقة تبنى باقي النواحي في حياته (زديرة 2006 , ص1).

فالأسرة هي أساس النمو السليم وداخلها تتأسس أولى العلاقات الاجتماعية التي يكتسب منها الطفل الشعوربقيمته وذاته مع أفراد أسرته, ومن تلك العلاقات الأولية يكتسب الخبرة من الحب و العاطفة و الحماية خاصة في السنوات الأولى من عمره, ويزداد وعيه بذاته بزيادة تفاعله مع المحيطين به, أما احساسه بالأمان الأكبر فيحدث لدى قربه من المؤثرالدافئ و المحب, وعندما تحتويه ذراع أمه المحبة, أو يستمع الى نبرات صوتها, فانه يسعد ويشعر بالأمان, وعندما تهجره أو تختفي عنه عاطفة الحب يجعله هذا وحيدا ويشعر بالتعاسة.

وانتهى بولبي 1951 الى أن أهمية حب الأم لطفلها في مرحلة الرضاعة و الطفولة بالنسبة لصحته النفسية تعادل أهمية القيتامينات و البروتينات بالنسبة لصحته الجسمية ( راتر1991 ص11).

ويعتبر حرمان الطفل من عاطفة والديه خبرة صادمة بالغة الأثر عليه حيث يعاني جرحا نفسيا عميقا, ولايقتصر ذلم على الحرمان من الأم فقط, بل ان الحرمان من الأب يحدث أذى نفسيا عميقا للطفل حيث يشعرأنه لم يعد ينل من المزايا المادية ماكان يناله من قبل, وأنه لم يعد له أب يلعب معه أويروي له القصص, أو يأتيه بالهدايا(حسيب,1990ص3).

وقد أظهر الأطفال المحرومين من الأب في عدة دراسات, ردود أفعال دفاعية مثل اللاوجدانية, تخيلات عودة الأب المفقود, التوحد, الى جانب عدم التحكم في الأنا الناتج عن فقدان التدعيم للأنا والأنا الأعلى ,اذ أن تكوين الأنا الأعلى يتأثر بالفقد الأبوي باعتبارأن الأب هو المصدرالأساسي لتدعيم الأنا الأعلى, والحرمان من الرعاية الوالدية هو أولى الأسباب المؤدية الى اضطرابات في شخصية الأبناء وتحديد درجة الضررمن الحرمان بمدى العلاقة بين الطفل ووالديه خاصة الأم, حيث يكون الطفل من خلال حلقة ثابتة ونشطة من هذا الارتباط والتفاعل ,تتكررالاف ان لم نقل ملايينالمرات في السنوات الأولى من العمربنموذج إيجابي داخلي يتكون من إحساس الطفل ب"أني شخص جديربالإهتمام, والحب واحتياجاتي مسددة وأشعر بالأمان"(مدور2015ص96).

مما يرشح الإحساس بالثقة والأمان لدى الطفل حتى يتمكن من بناء وتنظيم واقعه وتطويرمهارات القدرة على التواصل, ومن هنا تأخذ شخصيته في التطور, ونجد أن بنية العلاقة بين الطفل والأم تتحدد بجملة من الأنظمة السلوكية ,كل فعل أو حركة لأحد الطرفين يقع ضمن جملة مترابطة تشكل وحدة سلوكية متكاملة ومتوافقة مع أفعال الطرف الآخر وتتدرج هنا الفكرة التي تشير إلى أن التفاعل الذي يتم بين الطفل وأمه لا يقل فيها دور الطفل من حيث الإيجابية عن دور الأم, بمعنى أن التأثير في هذا التفاعل يسير ليس فقط من الأم بل أيضا من الطفل إلى الأم, فهو تفاعل ثنائي الإتجاه دائري(مدور2015ص96).

ونجد أن التفاعل بكل أشكاله بين الطفل والأم يأخذ أهمية خاصة في نمو قدراته و تطوراها, فالتفاعل اللمسي و التواصل البصري, و الشمي والصوتي, يؤثر تأثيرا مهما في نمو الطفل في مختلف الجوانب الجسدية والمعرفية والإجتماعية والإنفعالية.

وقد ثبت عند علماء النفس ان الخبرات المؤلمة في الطفولة تكتسب مواقف يدرك فيها الطفل عدم تقبله, مما يشعره بعدم الطمأنينة و التعاسة وكلها خبرات تنمي فيه الإستعداد للقلق وتكوين مفهوم سلبي عن الذات مما يؤثر على توافقه في مراحل حياته التالية.

ويقول ديريك برن"لابد من وجود شيء دافئ ومحب يشعره بالأمان في مكان ما ويسد أيضا جوعه ويربت على ظهره حتى يذهب في نومه اللذيذ(يحيى 2000ص50).

هذه الخبرات المؤلمة التي يتعرض لها الطفل تجعله عرضة لكثير من الاضطرابات السلوكية والانفعالية . يتصف الاطفال المغتربون سلوكيا وانفعاليا بعدم القدرة على إقامة علاقات صادقة مع الأفراد المحيطين بهم, مثل هذه العزلة الاجتماعية عادة ما تكون مفروضة عليهم من ذواتهم, اضافه الى ذلك, هناك عوامل تساهم في ابتعاد الآخرين عن هؤلاء الأطفال المضطربين, حيث إنهم يندفعون نحو السلوكيات العدوانية والإيذاء المسؤولية الميل الى السيطرة والمشاكسة هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن جزءا من المسؤولية يقع على عاتق الكبار, إنهم لا يمضون وقتا بصحبة هؤلاء الصغار, وإن حدث وأمضوا جزءا من وقتهم وبادرأي من هؤلاء بإبداء سلوك مضطرب, عمدوا الى عقابه لذلك فمن غير المستغرب أن يصبح هؤلاء الاطفال مشوشين ,محاولين إفساد كل ما يحيط بهم مع أي فرد قريب منهم.

وهكذا فالمشكلة لا تكمن فقط في سلوك الطفل أوفي البيئة المحيطة به ولكن تنبع أهميتها من حيث عدم وجود علاقة تفاعلية ملائمة بين الطفل وبيئته

(يحيى 2000 ص5).

فالحرمان العاطفي موضوع جدير بالبحث والدراسة نظرا لتأثيره في التفاعل الإجتماعي بين الأفراد وبين المجتمعات, فكثير من المشكلات النفسية, التي يمر بها الفرد والمجتمع للحرمان العاطفي دور كبير فيها والمدارس الداخلية بالخصوص من المؤسسات التي قد تمثل عاملا في هذا الاضطراب, فانفصال الطفل عن عائلته في سن مبكرة وايداعه في وسط يخلو تماما من الافراد الذين ترعرع معهم ونشا في حناياهم وزجه في أحضان غريبة .